

احتفال الجرة

مكافأة

لسائق الطوكسي أو أي إنسان يخبر عن مكان السيد اندريس كطانا الذي توجد صورته في الهامش والذي فقد يوم الثلاثاء 5 في الطريق من أبنيدا خواريث الى شوارع طونالا في كولونيا روما حوالي ال 23 و 30 دقيقة، ولا يُعرف مكانه حتى هذا التاريخ، أي خبر الى التلفزيون التاليين :

03 — 92 — 511 و 50 — 12 — 533

احتفال الجرة

قصة لاندريس كطانا

الأرض تبدو صاعدة، حقول الرز تحفق في الهواء، تكبر الأشجار المأكولة بفعل مسقطات الاوراق، تحت الدوي المتراكم للمروحة يهبط الهلكتير عموديا، خمسة عشر هلكيترا أخرى تحط في القرب، وأنت تفقر بالرشيشة في يدك، تطلق النار وتأمّر باطلاق النار على كل شيء، على كل شيء متحرك وحتى على اللا متحرك، لن يبقى خيزران على خيزران، لن يبقى أي ناج من المجزرة، لن يكون هناك شهود على ما كان قبل ذلك قرية، اليد، الرصاصة، السكين، الحرية، قاذفة الذهب، القنبلة، الكرنافة، كل شيء صار أداة موت، ولما ترجعون الى الهلكيتيرات نخس أنت يا نقيب كيلير، بطمأنينة من أدى الواجب، وسط الحطام تحترق جنث شيوخ وأطفال ونساء اغتصبين وعُذبن، لم يكن يوجد أي ثائر في القرية أو، كما تقول أنت، جميع السكان كانوا ثوارا، الاجسام المقطوعة المحروقة المحطمة تعرف سير عملية التعفن بينما أنتم تطهرون عائدتين بلا خسائر في الارواح، بإحساس مضاد لتقرر وفضاعة المعارك الأولى،

ما أبعدك الآن عن كل ذلك يا نقيب كيلير، وأنت، بأجرة محارب قديم، بقميص أخضر، ب Rolleiflex (1) بغليون سيليكاتي، تصفي إلى شروح الفتاة التي تصف بالانجليزية كيف عثر على قبر «مبعد الكلام المنقوش»، أنت موجود في «قاعة المايا» ب «متحف تكلم مع «الأشغال العمومية» ليعتذر على غيابه أمام رئيس المصلحة. قام ببعض

الأنثروبولوجيا»، بعيدا آلاف الكيلومترات عن ذلك الجحيم الذي ساهمت في إشعاله لكي يسمم العالم كله،

أنت تتأمل كل شيء بالتعجب الواجب والاعجاب السهل لمن يزور متحفا هو جزء من خط سير لا بد منه، في الواقع لم يؤثر فيك أي شيء، أحسن التحف كنت قد رأيته في مثيلات لها من صنع مقلدين، طبعاً، في القرب هي مختلفة، ولكن على كل حال لا تجعلك متأثر كثيراً بقايا عالم أبعد على يد امبراطورية كانت لا تقل قوة عن امبراطوريتك يا نقيب كيلبر،

ولكنهم يخرجون، يقطعون الغناء، الريح تهب بنقط ماء من الفسقية، يدخلون قاعة ميشيكا، هنا، تقول المرشدة، هنا بقي كل ما نجا من تدمير مكسيكو — طينو شيتلان، نسبة مئوية صغيرة فقط مما يقدر أن يكون أنتجه الفنانون الاستيكيون، العنف الا متحرك للتأثيل يفجر فيك رداً لم تقدر على أن تقلعه منك الرقة والزخرفة الغزيرة لفن المايا،

يبرز فجأة الحجر الشر الذي ركز فيه نحات، كمن يخرج فكرة متسلطة على عقله، الصورة المقدسة لكوكوايكوي، أنت تبقى ممغنا من طرفها، ممغنا ليس هناك كلمة أخرى، توقف Tours الخميس والجمعة والسبت لترجع كل صباح الى المتحف، وتجلس هناك قبالة الالهة سماء جهنمية وتتعرف فيها على شيء عرفته دائماً بالبدهة يا نقيب،

الحاحك الشديد على الهجيء أيقظ الشكوك بين الحراس، وتبرر سلوكك، لتستر افتنانك الشاذ، شريت دفترًا وبدأت ترسم كواواليكوي بجميع تفاصيلها، أنت الذي ما وضعت على ورق أبسط رسم منذ أن غادرت الـ High school ،

نهار الأحد ستظهر بداية مقاومة، عوض أن ترجع الى المتحف ستقضي الصباح في الاسواق وفي المساء تفيد نفسك في النزهة «احتفال المرأة» مع اصدقاء الـ Tours الأخرى الذين يسألونك لماذا ما كنت معهم في كسوشيميلكو وبويلا وتيوتيوكان، أين كنت مختبئا هذه الأيام،

ستحجب، أنا أرسم أحسن التحف، وهم لماذا يمكنك أن تشري كتباً، صوراً، Slides (2)، تقليدات مصغرة، تستمرون في الكلام، وعند الوصول الى «مصطرح مكسيكو»، ينطلق صوت النفير، يظهر في الحلبة المصارعون وفرقهم، يخرج الثور الاول، يصارعونه بالقماش الاحمر، ينخسونه بالرمح، يطعنونه بالمناخس ويقتلون، يظهر الثاني، أنت يهولك المنظر، يا لوحشية المكسيكيين، كيف يعذبون الحيوانات هكذا، يالهذه البلاد، هذا يفسر تأخرهم، فقرهم خضوعهم، عدوانيتهم، تخرج من احتفال المرأة، ترجع الى المتحف، تعود الى تأمل الالهة، الى الاستمرار في رسمها مفتناً الوقت القليل الذي ستبقى فيه القاعة مفتوحة لا تزال،

يسدون الابواب، أنت تقطع الشارع وتنتظر طكسيا على رصيف البحيرة، الرجل الذي يبيع المثلوجات يدفع عريته النحاسية، يقترب ويقول، يا سيد، عفوا، أنتم بهمكم كثيرا كل ما هو استيكي أليس كذلك ؟ أتريدون أن تروا شيئا لن تنسوه أبدا ؟ لا تخافوا، لن يكلفكم نشاطا واحدا، أنت باسبانيتك التي تخرج بصعوبة ترد، ماهو، أي شيء هو،

لا أستطيع أن أقول لكم الآن يا سيد، لكن أنا متأكد أن ذلك سيهمكم، كل ما يجب عليكم أن تعملوه هو أن تركبوا في آخر عربة لآخر مترو الليل يوم الثلاثاء في محطة انسورخينطيس، المترو سيتوقف بين «ايسايل لا كاطوليكا» «ويينو سواريث»، انزلوا وسيروا في النفق نحو الشرق حتى تجدوا ضوءا أخضر، هناك سأكون أنظركم،

البائع سيوقف طكسيا، سيقول له اسم فندقك، ويكاد يدفعك الى داخل السيارة، في الطريق فكرت أن ذلك كان مزاحا، لعبة مكسيكية بليدة للضحك على السياح، بعد ذلك ستغير رأيك يا نقيب كيلير،

ويوم الثلاثاء ليلا ستكون في إنسور خينطيس، بقميص أخضر، ب Rolleiflex، بغليون سيليكاتي، منتظرا أن تعلن مكبرات الصوت الرحلة الأخيرة، ثم ستطلع في العربة الأخيرة مع عاملين أو ثلاثة يرجعون الى ديارهم في ثوداد نيتاو الكويوتل، ستري مرور المحطات، سيتوقف المترو، ستنزل أنت في منتصف النفق أمام مفاجأة الراكبين، ستسير نحو الضوء الوحيد الذي ما زال مشعولا بعد مرور المترو، الضوء الأخضر، القميص الاصفر اللامع الطيفي تحت الضوء الأخضر، الرجل الذي يبيع المثلوجات قبالة المتحف،

الآن أننا الاثنين تنوغلان عبر الممر الحجري الذي يدفع الرشع ورائحة الوحل الى الاستنتاج أنه فتح في قاع البحيرة الميتة التي تقوم عليها المدينة، أنت تجعل Flash واحدا في كاميرتك، الرجل يمنعك من ذلك، لا، لا تضعي صورك، قريبا ستجد أشياء كثيرة للتصوير،

يضاء الممر بمشاعل من خشب عطر، أنت تسأل عن اسمه، يجيبك، أو كوطي، ثم تستفهم لماذا جئت بي الى هنا ؟، لترى «الحجر المرسوم عليه»، أعظم تمثال استيكي، ذاك الذي يحكي ذكرى انتصارات أو يثوطل ولم يستطيعوا العثور عليه اثناء حفر المترو، أنت ستكون أول انسان ابيض يراه منذ دفنه الاسبانويون في الوحل حتى لا يُذكر المغلويين بعظمة ماضيهم، لكي يخضعوا تماما لحديد الرسم وللوسط وللأعمال الشاقة، لكي يفقدوا ذاكرتهم وفخرهم بأرضهم واحترامهم لأنفسهم ويمكن أن يُحوَّلوا الى بهائم للعمل وحمل الاثقال،

يفاجئك كلام الرجل، ولو أنك لا تفهمه تماما يا نقيب كيلير، عينا مخاطبك كأنهما تلمعان في نصف الظليل، أنت رأيتهما من قبل، أين، عينان منحرفتان ولكن بشكل آخر، «العالم الجديد» أسويي أيضا، لكنك لست خائفا، المسدس الاتماتيكي يريض في جيبيك،

أنت تتوقع أن ترى مدينة تحارضية تكون صورة طبق الاصل تماما للطينو شيتلان التي تظهر في النماذج المصغرة للمتحف، لا ترى شيئا من ذلك، ترى فقط، من حين لآخر، قطع ردم، قطع معابد ومسكن أستيكية استعملت قبل اربعة قرون كأساس وحشو للعاصمة الاسبانية الجديدة،

رائحة الوَحْل تسمى أقوى، أنت تبدأ تعطس، زكمتك الرطوبة، تقول لمراقفك، سأذهب من هنا، إستان، سنصل الآن، تلح منتهجيا تقريبا، أريد أن أخرج من هنا الآن، تعطي أوامر، من هو دونك يجب أن يطعمها، والآخر يجاوب فعلا، الآن سنصل الى مخرج،

بعد نحو خمسين أو ستين خطوة يريك بابا، يفتحها وتَفَضِّلُ، يقول، وأنت تدخل بلا تردد، بعد ثانية تجد نفسك محبوسا في غرفة بلا اضاءة ولا تهوية الا التي تحدنها فتحة ذات شكل مطلسم، أهى غليفو الريح ؟ أهى غليفو الموت ؟،

الأرض هنا، عكس النفق، ثابتة مستوية، وفي ركن هناك حصيرة، أنت تستلقي عليها ولكن لا تنام، تخرج المسدس، تصوبه نحو الباب، كل شيء لا واقعي جدا، يبدو لا منطقيا جدا، الى درجة أنك لا تتمكن من ترتيب الاحاسيس التي تلقيتها،

لكن ينموك التعب، رائحة الوحل، ايقاع احاديث بعيدة بلغة مجهولة، الخطوات في الممر الرطب التحارضي، لما تفتح عينيك أخيرا تفهم، البارح كان يجب عليك ألا تتعشى تلك الاكلة المكسيكية الفظيعة، حلمت حلما بليدا كاد أن يتحول الى كابوس، كيف يمكن للا شعور أن ينهب ما هو واقع، المترو، بائع المثلوجات، المتحف، ويُعطيه نظاما أو لا نظاما مختلفا،

باللراحة وقد وجدت نفسك مفيقا في هذه الترفة بالهوليداي أين، أتكون قد صرحت أثناء الحلم ؟ لحسن الحظ أنه لم يكن الحلم الآخر، المتسلط على عقلك، حلم الفيتناميين الخارجيين من القبور في نفس الحالة التي تركتهم أنت عليها ولكن بعد أن سَوَّأها العفن، لحسن الحظ،

تسأل نفسك كم الساعة، تمديدك، اليد تتحرك في الفراغ محاولة الوصول الى اللبنة، ليست هناك، الطاولة أخذوها، أنت تقوم لتتير الضوء الوسطي للرفة،

حينئذ يقتحم الزنزاة الرجال الذين يأخذونك الى الحجر الدائري المخدد الكبير في أحد المعابد التوأمة، يفتحون صدرك بجرح، يقلعون قلبك (في الاسفل يرقصون، في الاسفل يعزفون موسيقاهم الحزينة جدا) ليقدموه غداء مقدسا للاله اليفور، للشمس التي تنقلت عبر غابات الليل والتي (بينما جسمك يا نقيب كيلبر، جسمك المفتوق يتدحرج مضرجا بالدم على الدرج) تلمع الآن، تولد الآن ثانية في مكسيكو — طينو شيتلان، أبدية، ظافرة بين البركانين.

نظر أندريس كنطانا الى الورقة «ريبولوثيون» التي أدخلها قبل قليل في ال
Smith-Corona. كتب بين خطين صغيرين الرقم 78 والتفت الى اليسار ليقرأ صفحة ال
The
Population Bomb

شغلته صرخة :

— Ef, Bi, Ai : ارفع يديك، لا تتحرك —

في التلفزيون ذي الصوت المرفوع الى اقصاه بالشقة المجاورة. قبائله هجم الفتيان الذين
يكونون مجموعة روك على نفس الفقرة التي تدرجها منذ الرابعة مساء :

Where's your momma gone
Where's your momma gone
Little baby don
Little baby don
Little baby don
Where's your momma gone
Where's your momma gone
Far, far, away.

قام، سد النافذة المفتوحة على الفناء الداخلي الكهيب، عاد الى الجلوس وقرأ من
جديد :

SCENARIO II In 1979 the last non-Communist government in Latin America, that of Mexico, is replaced by a Chinesesupported military junta. The change occurs at the end of a decade of frustration and failure for the United States Famine has swept repeatedly across Asia, Africa, and South America Foodriots have often become anti-American riots.

فكر في اللفظ الذي يترجم كلمة Scenario أحسن. راجع القسم English-Spanish
لـ New World. «رواية للاوبرا، قصة، خلاصة. ليس هذا سياق الكلام. ربما «احتمال،
افتراض» ؟ ترك فراغا، أعاد قراءة الجملة الأولى وبسبابة يده اليسرى (اليمينى شلت بسبب
حادث طفولي) كتب بسرعة :

في 1979 حلت محل (قلبت ؟) حكومة المكسيك (الحكومة المكسيكية ؟)، وهي
الاخيرة اللا شيوعية التي كانت باقية في أميركا اللاتينية، لجنّة عسكرية مدعومة من طرف
الصين (بدعم صيني ؟).

عند انتهائه قرأ الفقرة بصوت عال :

— «حلت محل حكومة»، فظيع على السمع. «عية، نية، رية» كتابة سيئة، ترجمتي
تزداد سوءا. أخرج الورقة وضغطها على الطاولة تحت ذراعه اليمنى ليمزقها بسبابة وابهام اليد
اليسرى. رن التلفزيون.

- نعم.
- عفوا، أيمكن أن أتكلم مع السيد كنتانا ؟
- نعم، أنا هو.
- آه، ماذا جرى لك يا أندريس، كيف أنت، ما أخبارك.
- عفوا، من يتكلم ؟
- أما تتذكرني ؟ طبعاً، ما تكلمنا منذ قرون، أنا ارييلايث، أصدعك كعادتي.
- ريكاردو، آه، فرحتني يا رجل. كيف وقعت المعجزة ؟
- أنا مبحر في مشروع كبير جداً وأريد أن أعرف هل أعول عليك.
- نعم، كيف لا، أي شيء هو ؟
- اسمع، المسألة تحتاج الى أن نجتمع ونتكلم، لكن سأقول لك شيئاً عنه لعلك تشجع، سنؤسس مجلة في مكسيكيو. رغم أن تقدير الأشياء صعب دائماً، أظن أنها ستجفع نجاحاً عظيماً.
- مجلة أدبية ؟
- نعم جزئياً، المسألة هي أننا نريد أن تكون نوعاً من Esquire أميركي إسباني. أو على الأصح، خليطاً من Esquire و Play-boy و Penthouse و The New Yorker ولكن بإشعاع لاتيني.
- آه، حسن إذن.
- المشروع ممتاز هه ؟ المال موجود والمعلنون والتوزيع والصحافيون : كل شيء. الطبع سيكون في باناما والاشهار سيكون مختلفاً من منطقة الى أخرى. سننشر ريبورتاجات وأخباراً واستجوابات وأبواباً ثابتة وامرأتين أو ثلاث نساء عاريات طبعاً، ونريد كذلك أن ننشر في كل عدد قصة قصيرة لم تنشر من قبل.
- بالنسبة للقصة الأولى كنا فكرنا أن نشر واحدة من غابو(3)... لكنني الحجت على أننا يجب أن نعرف على نطاق قاري بكاتب مكسيكي، مادامت المجلة تصنع هنا في مكسيكيو، فيها هذا النقص، ماذا سنعمل. فكُرتُ فيك طبعاً، آ أستاذ الاساتذة، أرجو أن تشرفاً.
- شكراً، شكراً جزيلاً.
- إذن، موافق ؟
- نعم، طبعاً... لكن المشكلة هي... هي أنني ما عندي أية قصة جديدة، لا أكتب منذ مدة.
- لماذا ؟
- مم... مشاكل، شغل، الأشياء المعروفة باختصار.

— اسمع، اجلس وفكر في قصتك ابتداء من الآن بالذات، ولما تكملها جيء بها. أظن أنك لن تتأخر كثيراً. نحن نريد أن نخرج العدد الأول في اقرب وقت.

— ولكن ...

— اسمع، يجب أن أقول لك إن العمل الأدبي يكافأ مكافأة حسنة. على الصعيد الدولي ليس شيئاً كبيراً ولكن بالمقارنة مع ما يعطى عادة في مكسيكيكو تبدو المكافأة ثروة... طلبت أن يعطوك ستة آلاف بيسو.

— ستة آلاف بيسو على قصة ؟

— المبلغ لا بأس به، أليس كذلك ؟ إذن ابدأ في الكتابة الآن يا أستاذي العزيز. خذ معلوماتي من فضلك.

سجل أندريس العنوان والتلفون في الراوية العليا اليمينية لجريدة يقرأ فيها :

يجب توثيق المكانة الممتازة التي يتمتع بها المكسيك داخل السياحة العالمية.

أكثر من عبارات الامتنان لريكاردو. ودعه. لم يرد الاستمرار في الترجمة. كان ينتظر أن تحيى هيلدا ليخبرها بالمعجزة.

فوجئت امرأته لما لم تجده شاكياً يائساً كعادته. أمام مثل ذلك الحماس لم تحاول أن تنبيهه، مع أن محاولة بدء وانهاء قصة في ليلة واحدة بدت لها مفرطة الطموح.

لما ذهبت هيلدا لتنام جلس أندريس أمام الآلة. كان لا يعمل في الليل منذ أعوام بعلة أنه إذا فعل سيزعج الجيران. الواقع هو أنه مر زمن طويل ما كتب فيه شيئاً غير الترجمات والكتابات البيروقراطية. اكتشف أندريس لما كان طفلاً ميله الى القصة، فقرر أن يكون كاتباً وأن يكرس نفسه لهذا الفن الأدبي وحده. في مراهقته كانت معظم الكتب التي تكون مكتبته مجموعات قصص قصيرة. ضد تشتت اصدقائه كان هو يفتخر بأنه يكاد لا يقرأ قصائد ولا مقالات ولا روايات ولا مسرحيات ولا كتباً سياسية، وأنه بالعكس كان يذم قراءه روائع القصص القصيرة التي كتبت في العالم.

لكن أباه كان يريد أن يورثه مكتبته فأرغمه على دراسة الهندسة المعمارية. سجل أندريس نفسه ونظاها بأنه يحضر الدروس. كان في الواقع يذهب الى كلية الآداب كمتسمع، وهناك اتصل بجامعة اربيلايث الذي كان ينشر مجلة «خندق».

كان ريكاردو يكتب قليلاً، بخلاف أندريس : كانت كتاباته تقتصر على افتتاحيات دفاعاً عن الحركة العمالية للمسكك الخديدي وعن الثورة الكوبية، وعروض حادة ضد الكتب

التي كانت موضة. ومع ذلك، كان عنده مشروع «رواية كبيرة» ستكون بالنسبة للبرجوازيين المكسيكيين، حسب كلماته نفسها؛ ما كانت A la recherche du temps perdu⁽⁴⁾ بالنسبة للفرنسيين.

ولكن قبل أن تقسم الحرب الادبية والاختلافات السياسية الجماعة بقليل، عرف أندريس هيلدا التي كان عمرها سبعة عشر عاما وكانت دائما جنب ريكاردو. تحابا وتكلما مع اربيلايث بشجاعة وقررا الزواج. لم ينس أندريس قط مساء ذاك الـ 28 مارس عام 1959 الذي قبلت فيه هيلدا عرضه أن يتزوجا، ألقي القبض على ديميتريو بايخو وبدأ الجيش والشرطة احتلال مقرات الحركة العمالية للسكك الحديدية.

قال الوالدان لأندريس إن من الخطأ أن يوقف دراسته، نظرا لأنه لا يستطيع أن يعيش بالكتابة. ورغم ذلك لم يعترضوا على الزواج وأهدياه مبلغا ليتمكن من العيش في الشهور الأولى. وحاول أندريس، وكان ما زال يكتب كل ليلة، أن يفتح طريقه كسيناري للسينما الوطنية ومساهم في الصفحات الأدبية للجراند. في أواخر 1960 كان مشروع الاعتداد على القلم في العيش قد انتهى بالفشل، كانت هيلدا قد فقدت ابنها الأول والوحيد، وخرجوا بعد ذلك من الدار الصغيرة في «كويواكان» ليكتريا شقة داخلية مظلمة في شوارع طونالا. بعدئذ عملت هيلدا في boutique أختها بـ «لا تونا روصا»، وحصل أندريس، وكان قد درس عاما ونصفا في المعهد المكسيكي — الأمريكي الشمالي للعلاقات الثقافية، على وظيفة مترجم في دار متخصصة في الكتب التي تشجع الرابطة الأمريكية و «الحلف من أجل النمو». لما سحق التضخم ميزانيته الهشة، تمكن أصدقاء أبيه من أن يحصلوا له على وظيفة مصصح أسلوب في «كتابة الأشغال العمومية».

نشر أندريس في السنين الأولى لرواجه كتابه الوحيد : تحريفات. باع 127 نسخة — كانت الطبعة مكونة من 2000 — وما فاز الا بتقريظ واحد (محاب) كتبه ريكاردو الذي لم ير الاثنين قط منذ اقترانهما. بعد ذلك بقليل كفت المجلات المكسيكية عن نشر القصص القصيرة وجعل ازدهار الرواية عدد المهتمين بكتابتها يقل قلة كبيرة. وشارك أندريس عبثا في مباراتين من أجل منحتين. فقد حماسه وأخذ يرجيء الى أجل غير محدد مشروعا لمجموعة جديدة من القصص.

كان يقول لهيلدا في الليل : ميلي في النهاية كان هو الكتابة وأنا أمارسها على كل حال /

يمكن أن تكون كتابة الترجمات والكتيبات وحتى التقارير البيروقراطية في مثل جودة قصة على كل حال أليس كذلك ؟ /

بمفهوم نخوي قديم فقط يمكن أن نعتقد أن الشيء الوحيد الصالح هو المسمى أدب
الخلق الست متفقة ؟ /

زيادة على هذا لا أريد أن أراحم الكويتيين المكسيكيين المنتفخين بفعل الدعاية،
روايات من الدرجة الرابعة كذلك أنا قادر على أن أكتب عشرة منها في العام الا ترين هذا ؟ /
ومع ذلك فهو الآن سيقبض ستة آلاف ييسو على قصة قصيرة واحدة : المبلغ الذي
كان يقبضه في شهور بأمسية بكاملها قبالة الآلة، مترجما تلك التي كان يسميها «الكُتْلا
مقروءة»، يمكن أن يسدد ديونه في المكتب، أن يقتني أشياء كثيرة يحتاجها، أن يأخذ لنفسه
عطلة ويسافر، أن يأكل في مطاعم. باختصار، بستة آلاف ييسو استعداد موهبته الادبية
الخامدة وترك وراءه العلل التي كانت تخفي فشله الذاتي :

في التخلف لا يمكن أن تكون كاتباً /

الكتاب مات : الآن ما يهمني هو الـ mass-media (5) /

طيب، عندما يتعلق الأمر بالكتابة كل شيء صالح، لن يضع أي مجهود، تجربتي
البيروقراطية ستكون لها نتائج سترين /

ماذني أنا إذا كنت تُخلقت في بلاد الخراء هذه وانتميت الى جيل من السخيفين
المُخصّين /

اسمعي، لما تندثر جميع الكتب الناجحة اليوم في المكسيك سيقراً أحدهم «تخريفات»
وعندئذ /

بسيابة يده اليسرى بدأ يكتب بلا توقف، ما كتب قط يمثل ذاك المقدار من
السلاسة. في الخامسة صباحاً ذهب لينام وهو يحس بكمال ما عرفه من قبل. كان قد دخن
علبة Viceroy وشرب أربع كوكاكولات ولكنه كتب «احتفال المرأة».

أفاق أندريس في الحادية عشرة والربع، استحم وحلق ذقنه بسرعة، تلفن الى ريكاردو
باحساس منتصر.

— لا يمكن. كانت عندك مكتوبة.

— والله لا : كتبها هذه الليلة، سأصححها الآن وأنقلها الى الميضة. أظن أنها جيدة.
سنرى ماذا يكون رأيك فيها ليتها تعجب.

— طبعاً ستعجب.

— متي أعطيك إياها.

— هذه الليلة اذا اردت. أنتظرك في التاسعة بمكثني.

التصحیحات، أعاد كتابة النص على الآلة، وفي الخامسة بدأ النص النهائي بلا شطب ولا حروف موضوعة على أخرى في ورق bond de Kimberley Klark⁽⁶⁾. هيلدا قالت له إنها ستذهب الى السينما مع أختها حتى لا تبقى وحدها أثناء ذهابه لتسليم القصة القصيرة.

في الثامنة والنصف ركب أندريس المترو في محطة «إنسورخينطيس» انتقل الى قطار آخر في «بالديراس» ونزل في «خواريث». دخل المكتب في الوقت المحدد. كانت الكاتبة جميلة جدا الى درجة أن أندريس خجل من سترته القطيفية وسرواله البني وصغره ويده الكسحاء. انتظر لحظات قبل أن يدخل الى المكتب المفرط الاضاءة لريكاردو الذي قام من مكتبه ليأمنقه.

كانت قد انصرفت اكثر من اثني عشر عاما منذ الـ 28 مارس 1959. ريكاردو كان شكله يجعل من الصعب التعرف عليه، ببدلة من نسيج شتوتوك أزرق فيروزى ولحية أعلى الحدين كثيفة وشارب ثاباطي⁽⁷⁾ ومنظار كالذي كان يستعمله شومان. أحس أندريس من جديد أنه في غير محله وسط ذلك المكان (نوافذ تطل على طريق الأشجار، حيطان مغطاة بصور جدارية تُكبر مطبوعات حجرية قديمة للمدينة).

أدرك توا أن وضع اللاحين الذي اتخذه ريكاردو، وضع الـ «كما كنا نقول البارحة»، كان متكلفاً. اللاجدة الودود في التفلون كانت ستمحي الآن وقد أخذ اربيلاريث (وهو في موقف قوة) أندريس الى ساحته هو. تفحص أحدهما الآخر ثواني :

— هو تبدل / حتى أنا / ما عمل أحد منا ما كان سيعمله / كلانا انتهى خائباً ولكن من كان نصيبه أسوأ /

بادر ريكاردو الى وضع حد للتوتر فعرض عليه أن يجلس على الكرسي المريح وجلس معه مقدماً له سيجارة Benson & Hedges ثم تصفح المخطوطة التي أخرجها أندريس من محفظته.

— حجمها مناسب تماماً... والآن، اذا سمحت بلحظة، سأقرأ قصتك مع مستر هردويك الـ editor in-chief⁽⁸⁾ للمجلة. بعد ذلك أقدمه لك. هو رجل صاحب أفكار مهمة. عمل في الـ Time Magazine.

— لا، من الأحسن الا تقدمه لي : ذلك يؤلمني.

— يؤلمك ؟ لماذا ؟

— لا أتكلم الانجليزية.

— كيف ؟ لكنك ترجمت الاف الكتب.

— ربما يكون السبب هو ذاك. هما شيان مختلفان.

— كيف أنت غريب. لن أتأخر.

لما بقي أندريس وحده أخذ يتصفح مجلة كان ريكاردو تركها على مكتبه. أثار انتباهه

اعلان :

Located on 1500 feet of Revolcadero beach and rising 16 stores like an Aztec pyramid, the 40 million Acapulco Princess Hotel and Club de Golf opened as this jet set resorts largest and most lavish yet. Its 200 acres of gardens, pools waterfalls and fairways are ten minutes by car from International Airport.

The Princess has 777 rooms with private terraces overlooking either the palmtree dotted golf course or the turquoise Pacific. Guests specify either a green (golf) view or blue (Pacific) view when making reservations. One of the most spectacular hotels you will ever see, it has a lobby modeled after the great central court of an Aztec temple with sunlight and moonlight filtering through the translucent roof. The 20000 ft. lobby's atrium is complemented by 60 feet palm-trees, a flowning lagoon and mayan sculpture. (9)

لكنه كان قلقا، لم يكن قادرا على التركيز. دلف الى النافذة ونظر الى المدينة الوطئة، الى أضوائها الغامضة. قضى وقتا طويلا ينظر اليها، دخن سجائر كثيرة جدا، دخلت الكتابة لتعرض عليه فئجان نيسكافي، ثم لتقدمه له، أخيرا لتودعه.

تأمل أندريس المطبوعات الحجرية المكيرة. أحس بحنين مستحيل نحو تلك المكسيكو الميتة قبل عشرات السنين من ولادته. تخيل قصة رجل من كثرة النظر إلى مطبوع حجري انتهى داخل هذا المطبوع، متحركا بين تلك الشخصيات المنتمية الى عوالم أخرى، ناظرا الى معاصريه الذين يرونه من القرن العشرين. ثم فكر، كما يفعل دائما، أن القصة ليست له، أن أحدهم كتبها، هو قرأها قبل زمن قصير لا يتذكر أين.

أو ربما لا : ربما اخترعها هناك بالذات، في ذاك المكتب الغريب قبالة طريق الاشجار — مكان غير مناسب لتحرير مجلة لها المال والطموح اللذان تكلم عنهما ريكاردو. لم يستطع بعد أن يستوعب لقاء صديق — عدو السنين الغابرة :

أليكون ترك التفكير في هيلدا ؟

لو رآها هل تعجبه بنفس درجة إعجابه بها قبل اثني عشر عاما ؟

ماذا كانت العلاقات الحقيقية بينهما ؟

لماذا لم تقل له هيلدا غير أشياء غامضة حول الموضوع ؟

و
أليكون ريكاردو كتب روايته ؟

أيمكن من كتابتها في المستقبل ؟

لماذا كان رئيس التحرير القديم لـ «خندق» موجودا في ذاك المكتب ؟

أنكون البلاد فظيعة الى هذا الحد، أيكون العالم فظيعة الى هذا الحد، بحيث أن كل شيء قابل للفساد أو الانسداد ولا سبيل لأن ينجو أحد ؟
و

ماذا يكون رأي ريكاردو فيه هو ؟ أكان يكرهه، يحتقره، يحسده ؟
إنثاؤه على «تخريفات» أكان لاطهار علو نفسه، أم كان إهانة في متبى الذكاء، أم رسالة مُشَفَّرة الى هيلدا ؟

و
السته آلاف بيسو أهى مكافأة لنبوغه — نبوغ قاص لا يذكره أحد نشر كتابا واحدا عاديّا منسيا عن استحقاق — أم طريقة لمساعدة هيلدا، وهو يعرف
(من قال له ؟ هي نفسها؟)

المشاكل الزوجية، العشرة الرنخة الحزينة، المزاج العكر للذي انتهى الى الفشل، إهانة وجوب اثبات الحضور في «الاشغال العمومية»، أسلوب تراجمه الذي يزداد سوءا، مواعيد هيلدا في boutique أحتها، الزبونات الغنيات اللواتي هي عبدة لهن ؟

كف أندريس عن طرح الاسئلة على نفسه. نظر الى ساعة الحائط : كانت قد مرّت أكثر من ساعتين، كان ريكاردو مازال في مكتب مستر هردويك — يتناقشان حول القصة ؟ — التأخر لم يكن يمكن أن يفشّر سوى كأسوء التكهّنات، لذلك لما ظهر ريكاردو من جديد بالنص في يده، أحس أندريس أنه سبق له أن عاش اللحظة وفي استطاعته أن يتلو التهمة.

— اسمع، ساعطني، تأخّرتُ قرونا، كنا نتكلم ونتكلم عن الـ historia (40).

حتى في الذكرى الغامضة لاندريس قال ريكاردو historia وليس قصة قصيرة. كلمة مأخوذة عن الانجليزية طبعا، غير مهم، ترجمة ذهنية لـ story. قال بخوف وبلا أمل، وهو متأكد من الجواب :

— وما رأيكما فيها ؟

— مهم، ما عرفت كيف أقول لك هذا يا أستاذ. قصتك أعجبتني، مهمة، مكتوبة بطريقة لا بأس بها. لكن خفضت المستوى، لا شعوريا، وقد فكرت أنك تكاد تكتبها لجملة بناء على طلب. أفهمت ؟ الاحداث مفرطة التسلسل، هي من نوع قصص الـ american magazine، لا ؟

نظرة اضطراب عوض الجواب /

أندريس يلوم نفسه على احساسه بأن تضيق الستة آلاف بيسو يؤله أكثر من الفشل
الادبي /

لكن ريكاردو كان قد استمر :

— صدقني، أنا متأسف جدا على هذا. تمنيت من قلبي أن يقبلها المستر، أنت أول من كلمته في المسألة كما رأيت.

— لا داعي لأن تقدم اعتذارات يا رجل. قل إنها لا تصلح والسلام. المسألة بسيطة، مافيا مشاكل.

أغضبت اللهجة ريكاردو. قام بحركة ليضبط نفسه وأضاف :

— نعم هناك مشاكل : لا تتمكن من رؤية الشخصية. تنقصك الدقة. بعض الفقرات معقدة، الأخيرة مثلا، بفضل حيك تعويض جميع علامات التقطيع بالفاصلة. حكايتك لا واقعية بأسوأ معنى الكلمة، bookish جدا، أليس كذلك ؟ زيادة على هذا مسألة «الجوهر القبايبياني المدفون ولكنه حي» لم تعد شيئا جديدا. فوينطيس (11) عمل أشياء مهمة بهذا، ولما عملها استنفد الموضوع أيضا. طبعا أنت تراه من زاوية أخرى، ولكن على كل حال... والمسألة تتعقد باستعمال ضمير المخاطب المفرد. هو وسيلة فقدت جدتها ويزيد الشبه بفوينطيس، you know.

— الآن غدا كل شيء مكتوبا. كل قصة تخرج من قصة أخرى، أليس كذلك ؟ ولكن لنختصر، ما بقي لي ما أقوله، اعتراضاتك لا تجادل... إلا مسألة فوينطيس : ما قرأت قط كتابا له. لا أقرأ الأدب المكسيكي... لأجل الصحة الذهنية — أحس أندريس أنه يبدو مثيرا للشفقة، كان صوت كبريائه المغلوب يدل على فراغ.

— إذن أنت غالط في عدم قراءتك ما يكتبون جنك.. اسمع، ذكرّني كذلك بقصة لكورطاثار (12).

— «الليلة على ظهرها» ؟ (13)

— تماما .

— يمكن .

— وما دما تتكلم عن التأثيرات أو السوابق، سمها كما تحب، فكرت في قصة لروين داريو... أظن عنوانها «ويشيلوبوشلي» هي من آخر ما كتب، نشرها في غواتيمالا.

— أكتب داريو قصصا ؟ ما عندي أية فكرة. ظننت أنه كان شاعرا فقط... طيب، إذن... سأنسحب.

— لحظت : بقيت الخاتمة. الحكمة بدت لمسترهديك معادية لليانكيين وإلى جانب العالم الثالث بكيفية وحشية. وجد رموزا كثيرة.

— رموز ؟ ولكن ما هناك أي رمز : كل شيء مباشر جدا وواضح جدا.

— ليس الى هذا الحد. النهاية يظهر أنها توحى بشيء غير موجود في النص. هي استعارة سياسية، لنقل رغبة حسنة، خداعة بشكل خفيف من جهة أخرى. كأنك تريد أن تفوز بتصفيقات «المستعجلين» في الجامعة أو تؤدي تحية حنينية لآيما في «خندق» : «المكسيك ستغير الامبريالية اليانكية، كما دفنت قبل قرن طموحات نابليون الثالث» — ليس كذلك ؟ اسمح لي أن أقول لك شُكَّ أخطأ. المستر هردويك ضد حرب فيتنام هو كذلك، طبعاً، وأنت عارف أن موقفى ما تغير في جوهره : تغير العالم وهذا يختلف كل الاختلاف. ولكن كيف أمكن أن يخطر لك أن تحيى الى مجلة ممولة من هناك فوق بقصة تصب فيها رغبات في إفراغ السياحة ومضايقة اليانكيين...

— ربما تكون على حق، ربما نصبت لنفسى فخاخاً أنا وحدي لكي لا تُنشر قصتي.
— يمكن، who knows، ولكن لثُخِّلَ الكلام بطريقة علم النفس لأننا سننتهى مكتشفين أن قصتك عدوان مكتوم ضدي أنا.

— لا يا رجل، ماذا تقول — تصنع الضحك مع ريكاردو، صمت قليلاً وأضاف — طيب، سأختفي، شكراً جزيلاً على كل حال.

— لا تأخذ الأمر هكذا، لا تكن لا معقولياً. أُنْتَظَرُ شيئاً آخر لك طبعاً، ولو أنه لن يكون للعدد الأول. زيادة على ذلك، هذه المجلة لا تعمل على الطريقة المكسيكية : العمل الذي تكلف به أحداً تسدده. خذ... ألف ييسو فقط، أحسن من لاشيء... هيا، لا تحجل من قبوطها، هكذا تعودوا في الولايات المتحدة، ولا يستاء أحد. آه، إذا ما كان عندك مانع نُحَلِّ لي الاصل هنا بعض الايام كي أرى المدير إياه وأبرر التسديد. بعد ذلك أرسله إليك في البريد أو مع office-boy.

— حسن جداً. وأنا أجيء لك الى هنا بقصيدة أخرى.

— ممتاز. خذ الوقت الكافي، لا تتسرع وسترى كيف ستنتج مع اليانكيين هذه المرة. المسألة أنهم في منتهى الصرامة، مهنيون جداً، استكماليون جداً. في بعض الأحيان كانوا يأمرهم بإعادة كتابة إشارة كتب بسيطة جداً ست مرات، تصور كيف يكون الأمر بالنسبة لنص ابداعى... اسمع، التسديد لا يهم : يمكن لك أن تنشر قصتك في أية مجلة «عملية».

— لماذا، ليست جيدة. أحسن لنا أن ننساها... طيب، سنبقى ؟

— نعم، يجب أن أتكلّم في التلفون.

— في هذه الساعة ؟ الوقت متأخر لذلك، لا ؟

— متأخر جداً، ولكن يجب أن نعمل بسير حثيث حتى نتمكن من أن نجعل عجلة المجلة تدور. طيب، عزيزي أندريس، أشكرك لأنك عملت ما كلفناك به، ومن فضلك سلم كثيراً على هيلدا.

— كيف لا. شكرا لك أنت. تصبح على خير.

خرج أندريس الى الممر العارِق في الظلام حيث ماكان يشتعل غير الاضواء في لوح المصعد. ضغط الجرس وبعد قليل انفتح القفص المضاء بضياء مزعجة بمقعد صبي المصعد فارغ. أغرق زر الطبقة الارضية. فتح له باب الشارع حارسٌ ناعسٌ بوجه مخفي وراء كوفية، رجع أندريس الى ليل مكسيكو، مشى حتى محطة خواريث ونزل الى الساحة المقفرة.

فتح محفظته ليفتش عن شيء يقرأه ريثما يجيء المترو. ماوجد غير نسخة «احتفال المرأة». مرقها ورمها في الزبل، كان الجو حارا في النفق. وفجأة غمره الهواء البارد الذي جلبه القطار الذي مالبث أن توقف بلا صوت. صعد أندريس الى العربة الثانية، انتقل مرة أخرى الى قطار آخر في «بالديراس» وجلس في مقعد فردي.

ماكان هناك غير ثلاثة ركاب غافين. أخرج أندريس من جيبه ورقة الألف ييسو، تأملها لحظة وخبأها من جديد، في زجاج الباب نظر الى انعكاسه وهو مطبوع بفعل ضوء العربة وظلام النفق.

— وجه سخيف — قال لنفسه — لو التقيت مصادفة مع نفسي في الشارع لأحسست باحتقار لاحد له. لن يعرض نفسه لاهانة من هذا النوع غير أبله بخالي. كيف أشرح هذا لهيلدا، كل شيء شرير. لماذا لا يصطدم القطار. أتمنى أن أموت.

لما رأى الرجال الثلاثة يتأملونه، أدرك أنه كان تكلم بصوت عال، موثا. حرف نظرتة ولكي يشغل نفسه بشيء تناول ورقة الألف ييسو وخبأها في محفظته.

نزل في إنسورخينطيس لما كانت مكبرات الصوت تعلن أنها الرحلة الاخيرة وأن أبواب المحطة ستسد. ومع ذلك توقف اندريس ليقراً كتابة محفورة بحد بركار أو مسمار على إعلان : Raleigh

مجرمون، لن ننسى طلاطيلوكو (14) وصان كوصمي (15)

— كان يجب أن يقول «ولا صان كوصمي» — صحح أندريس ذهنيا، بطريقة ميكانيكية، وهو يتقدم نحو المخرج. انطلق القطار الذي كان ذاهبا في اتجاه سرقسطة.

قبل أن يكتسب صف العربات السرعة رأى أندريس بين الركاب الاربعة للعربة الاخيرة رجلا أميركيا شماليا بلا أدنى شك : قميص أخضر، Rolleiflex، غليون سيليكاتي بين شفتيه.

صرخ أندريس كلمات لم يتمكن النقيب كيلير من سماعها فضاغت في النفق. بادر الى صعود الدرج مشتاقا الى الهواء الطلق للساحة. بيده الماهرة الوحيدة دفع الباب الدوارة. لم يستطع حتى أن يفتح فمه لما قبضه الرجال الثلاثة الذين كانوا له بالمرصاد.

ترجمة محمد العشيري

- (1) اسم نوع من آلات التصوير
- (2) صوهرات
- (3) هو غيغيل غريثيا ماركيث
- (4) رواية «البحث عن الزمن الضائع» لبروست.
- (5) التلفزيون والراديو والسينما والمصحف، إلخ.
- (6) هو نوع من الورق الفاخر.
- (7) نسبة إلى إميليانو تاباطا أحد قادة الثورة المكسيكية التي انفجرت عام 1910. كان له شارب كبير جدا.
- (8) رئيس الصحير.

(9) واقعا على بعد 1500 قدم من شاطئ ريبولكاديرو، ومرتقا بسنة عشر طابقا مثل هرم أستيكى، يفتح فندق «أكابولكوبرانسس» ونادي الغولف اللذين كلغا 40 مليون دولار أبوابهما مثل مجموعة منتجات التوافير هذه، أوسع وأغزر ما عرف في نوعه. أكراته (الأكري 4000 متر مربع) المقتان من الحدائق والمسابع ومساقط المياه والجداول تبعد عشر دقائق بالسيارة عن المطار الدولي.

يحتوي «البرانسس» على 777 غرفة لكل منها شرفة خاصة تطل على شاطئ الخليج المنقط بالنخيل أو على بحر الباسيفيك الفروزي ويحدد الضيوف أثناء حجوزاتهم ما إذا كانوا يفضلون مشهدا اخضر (الخليج) أو أزرق (الباسيفيك). إنه واحد من أكثر الفنادق التي يمكن أن تروها اثارة، فهو يملك رواقا مصنوعا على غرار الساحة المركزية الكبرى في معبد أستيكى يسقفه الشفاف الذي تلتطف عيو أشعة الشمس وضوء القمر. ردهة الرواق التي يبلغ طولها 20000 قدم تكملها 60 قدما من النخيل، والأهوار المعلقة وبحيرات المياه.

- (10) حكاية أو قصة
- (11) رواي مكسيكي معروف.
- (12) هو الكاتب الأرجنتيني المعروف
- (13) القصة موجودة في مجموعة «نهاية اللعب».
- (14) مجزة طلائولكو، ارتكبتها الحكومة المكسيكية في صفوف الطلاب (50 قتيلا حسب المصادر الرسمية و 300 حسب مصادر أخرى)
- (15) صان كوصمي : شارع في مكسيكو. وقع فيه اصطدام بين الطلاب والشرطة بهذا الشارع عام 1970.

— خوسيه إميليو باتشيكو. ولد عام 1939 بالعاصمة المكسيكية. من مؤلفاته : ستموت بعيدا (رواية 1967) وبداية المتعة (قصص 1972) وهي المجموعة التي توجد بين قصصها القصة المترجمة هنا.

— ANTOLOGIA DE CUENTOS MEXICANOS TOMO 2. MARIA DEL CARMEN MILLAN. EDITORIAL NUEVA IMAGEN S.A. MEXICO. 1977.